باب التقريظ والانتقاد

درس في الانتقاد

نعنى ببعض الكتب احياناً احتفالاً بموضوعها ونشير الى بعض حسناتها ترغيباً للقراء فيها والى بعض سيئاتها لكي ينتبه لها كتّابها فيصلحوها في طبعة تالية اذا وجدوا انتقادنا صحيحاً لكننا لا نجد منهم غالباً الاّ المكابرة واللّوم . وقد مضى علينا الآن ست وعشرون سنة ولا نتذكر ان مؤلفاً عربياً انتقدنا كتابهُ واشرنا الى خطإٍ فيهِ ولم يقابلنا بالجفاء والتعنيف . وبالضد من ذلك مؤلفو الافرنج فاننا لم ننتقد كتاباً لاحد منهم الاّ قابلنا بالشكر والثناء

من ذلك اننا ذكرنا في الجزء الثامن من هذه السنة كتاباً اسمهُ كتاب المجال وجدتهُ السيدة الفاضلة مسز جبسن الانكليزية في دير جبل سينا فصورتهُ وترجمتهُ وطبعتهُ بالعربية والانكليزية وبعث الينا بنسخة منهُ فانتقدنا بعض ما جاء فيهِ من قبيل الترجمة فكتبت الينا بالامس تقول ما ترجمتهُ

" لقد تفضلتم عليّ كثيراً بذكركم اياي وكتابي في المقتطف . وقد كنتُ غائبة في اسكتلندا حينما حضر ذلك الجزء فلم أستطع ان اراجع الاصل الذي ترجمت عنهُ لارى صحة كلمة " مجال " اما وقد عدت الآن الى بيتي فراجعت الكتاب فوجدت الكلمة فيهِ كما نقلتها تماماً وقد بعثت اليكم مع هذا البريد بصورة فوتوغرافية فيها الصفحة الاولى التي ورد فيها اسم هذا الكتاب وهي واردة في السطر الرابع ومنها ترون ما اذا كنت مصيبة او مخطئة . اما ترجمة عيد البشارة فانتم مصيبون فيها وانا مخطئة "

ثم ذكرت لنا ان حضرة اختها مسز لويس وجدت كتاباً مطرّساً اي محيت كتابتهُ ثم كتب ثانية بخط كوفي من القرن السابع او الثامن للميلاد وبينما هي تعالجهُ بمادة كيماوية لاظهار كتابتهِ ظهر على صحيفة منهُ ١٢ سطراً بخط يوناني كبير الحروف من عهد قديم على كل صفحة منها ستة اسطر من الاصحاح الاربعين من سفر التكوين فارسلت صورة فوتوغرافية منها الى الدكتور نستل لانهُ دقيق النظر فوجد انها جزء من هكسيلا اورجنس اي النسخة التي جمع فيها ست نسخ من التوراة . وقد بعثت بتفصيل ذلك الى الاكسبوزيتوري تيمس وسينشر فيهِ في الشهر التالي . فنشكر لهذه السيدة الفاضلة عنايتها بانتقادنا لكتابها ونثني عليها وعلى حضرة اختها لبحثهما المتواصل في ما يزيد المعارف ويوسّع نطاق العلوم

رواية ريحانة النفوس

عند الاميركيين كاتب من اشهر كتّاب الروايات وابلغ الشعراء وهو طبيب ايضاً ومن اشهر الاطباء يُنقد على الزيارة الطبيّة الواحدة مئات من الريالات ويكتب في الشهر رواية فيربح منها الوفاً من الجنيهات . وقد طالعنا لهُ روايتين حديثاً فوجدناهُ ادمج في كلٍّ منهما موضوعاً طبياً وشرح كثيراً من احوال الطب والاطباء . وكأن صديقنا الفاضل الدكتور امين الخوري جرى هذا المجرى ايضاً فانشأ رواية فكاهية ضمنها من الفوائد الصحية والاخلاقية ما يرشد المرء الى اجتياز مسافة هذا العمر بدون ان تعثر لهُ قدم وجعل مدار كلامهِ على الطفولية والزواج لارتباطهما بجميع اطوار الحياة صحة وراحة وهناء . والغرض بيّن من سبك الفوائد الصحية في قالب الرواية الفكاهية وهو تقريب الفوائد من الجمهور لانهُ عليم بما تناولها من الكتب الطبية . لكن شتّان في النجاح المالي بين الدكتور الاميركي والدكتور اللبناني لان الاول يكتب لابناء اللغة الانكليزية وهم مئة وعشرون مليوناً من المتعلمين المتهذبين والثاني يكتب لابناء اللغة العربية وقرّاء الكتب منهم لا يبلغون عشرة الاف .

وفي ريحانة النفوس عدا الفوائد الصحية كلام مسهب على الاخلاق تطرّق الى ما يقولهُ اصحاب فن الفراسة من دلالة اعضاء الجسم على اخلاق الانسان مثل " ان الرأس الكبير يدلُّ على الاهمال والكسل والحماقة والعناد والراس الصغير فوق الجسم الضخم يدل على حدة التصوُّر والتردد في الحكم والميل الى الخمول والكسل كما يدل على شراسة الاخلاق وصعوبة الانقياد . وعلى العموم ان التحدُّب المقدَّم والخلفي من الراس يدلُّ على حدة الذهن وتوقد الفكر والنشاط وقوة التصوُّر . والتسطح والتقعير المقدمان والخلفيان فيهِ يدلاّن على الاخلاق السهلة وصحة الروية والتوسط في القوى العقلية " . ولا يخفى اننا ننكر ذلك كلهُ كما ابنّا عند انتقاد كتاب الفراسة في الجزء التاسع وفي مقالة نشرناها في هذا الجزء وحسبنا دليلاً على ان ما ذكرهنا ليس قاعدةً يبنى عليها ان الراس المتحدب من الامام والخلف شائع في الجنس الاوربي والزنجي وهما على طرفي نقيض في اكثر الامور العقلية . ولقد احسن حضرة المؤلف في ما ختم بهِ هذا الكلام عن الفراسة حيث قال " لقد كذب المنجمون ولو صدقوا كل هذه اوهام ولا يصدق الاّ التجارب وليس اكثر شرّاً من التسرُّع " وحبذا لو ختم كل فقرة من فقرات كلامهِ عن الفراسة بمثل هذه العبارة لئلاّ يرسخ الوهم في الذهن ويصعب محوهُ منهُ

لكن هذا ليس كل الفوائد الاخلاقية التي اشرنا اليها بل الرواية كلها جامعة لفوائد شتّى من وجوه اخرى . وكانا نرى حضرة المؤلف يضرب اخماساً لاسداس حينما اراد ان يشرح

امر البكارة الى ان استتبَّ لهُ ايراد الشرح المراد على اسلوب قد لا تنفر العذراء من مطالعتهِ فاجاد وافاد ولا نقول بقولهِ "ان المرأة انما يهمها ان تكون هي آخر من يحبها زوجها بعكس الرجل فانهُ انما يرغب في ان يكون اول من احبتهُ امرأتهُ" لكن قد يقضي عليهما ان يربا حسنًا ما ليس بالحسن . اما الكلام الذي يلي فلا يتجاسر على كتابتهِ الاَّ الطبيب ولا ندري كيف يقابلهُ القراء ولو كانت معرفتهُ لازمة لكل احد

والرواية كثيرة الفوائد او كثيرة الدسم وقد يكون دسمها زائدًا عن الفكاهة التي فيها . ولا بد من ان يستفيد منها القراء فوائد جمَّة فنشكر لحضرة واضعها شكرًا جزيلاً ونتمنَّى ان يتحفنا بروايات أُخرى من هذا النوع

رواية الشهامة والحب

بقلم حضرة الاديب اسكندر افندي سعد الدمنهوري . وهي رواية ادبيَّة غراميَّة خلاصتها ان فتىً احب فتاةً في هذه العاصمة ثم احبها فتىً آخر في الاسكندرية فاراد ابواها ان يزوجاها بهِ فاخبرتهُ بحبها للفتى الاول فزادت في عينهِ حبًّا ورفعة شأن ووقع الفتى الاول جريحًا فاعلنى بهِ الفتى الثاني الى ان شفي واقترن بها ومات الثاني غرامًا . واسلوب الرواية حسن وحبذا لو اسهب فيها حضرة واضعها لان موضوعها يحتمل الاسهاب الكثير وحبذا ايضًا لو سلمت من بعض ما فيها من الخطإ اللغوي

القسطاس المستقيم

تاليف حجة الاسلام الامام ابي حامد الغزّالي وقد صحَّحهُ والتزم طبعهُ حضرة العالم الفاضل الشيخ مصطفى القباني الدمشقي وقدم لهُ مقدمة في ترجمة المؤلف وعلَّق عليهِ حواشي كثيرة فسرت غامضهُ وشرحت مبهمهُ

ومما يزادُ في حد الغرابة من هذا الكتاب قول مؤلفهِ ان سائلاً سألهُ عما اذا كان يزن حقيقة المعرفة بميزان الرأي والقياس او بميزان التعليم فاجاب متصلاً من ميزان الرأي والقياس لانهُ ميزان الشيطان . فلا تكاد تصدق ان عالمًا فاضلاً كالغزالي ينفي ميزان الرأي والقياس ويعتمد على ميزان التعليم في غير المعرفة الدينيَّة ولذلك نظن ان في القسم الاول من هذا الكتاب نقصًا وانهُ حُذف منهُ ما يحصر المعرفة المقصودة هنا بالمعرفة الدينيَّة والاَّ فاذا اريد بها سائر المعارف كالزراعة والصناعة والطب وكل العلوم والفنون فالاعتماد فيها على الرأي والقياس

كالاعتماد على الحس والمشاهدة . فاذا صحّ ذلك فميزان المعرفة عند اهل كل دين كتبهم التي يعتقدون انها منزلة من الهم وعلى هذا النحو قال الامام الغزالي لمن يناظره " اني اخترع واضع هذا الميزان ومعلمهُ ومستعملهُ فان واضعهُ هو الله تعالى ومعلمهُ جبريل ومستعملهُ الخليل ومحمد وسائر النبيين" . ومتى رسخ اعتقاد الانسان في نفسهِ هذا الرسوخ سهل عليهِ ان يثق ثقة تامَّة بكل ما في كتابهِ واستغنى عن كل دليل وميزان آخر

وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة الترقي وهو يطلب منها

الكلم الروحانيَّة
في الحكم اليونانية

تأليف الاستاذ ابي الفرج بن هندو المتوفى سنة ٤٢٠ هجرية وقد صححهُ والتزم طبعهُ حضرة الفاضل الشيخ مصطفى القباني الدمشقي . وهو جامع لكثير من حكم افلاطون وارسطوطاليس وسقراط واوميرس والاسكندر وباسيليوس الملك وفيثاغورس وبقراط واليتوس وديمستانس وزينون وديوجانيس وغيرهم . وحكم افلاطون ملأت نحو نصف الكتاب ومنها قولهُ لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويدهُ فان الناس لا يسألون عن مدَّة العمل وانما يسألون عن جودتهِ . يستدلُّ على ادبار الملك من قصدهِ المخلصين لهُ بالسوء واستبانتهِ بمشورة ذوي الخبرة بامرهِ . الصاف وضع الرجل نفسهُ بمنزلة لا يستحقها ومطالبتهُ نفسهُ والناس بما يجب لتلك المنزلة . اذا قويت نفس الانسان انقطع الى الراي واذا ضعفت انقطع الى البخت . العلم صبغ النفس وليس يشرق صبغ الشيء حتى ينظف من ادناسهِ

ومن حكم ارسطوطاليس قولهُ القليل مع قلة الهم اهنأ من الكثير ذي التبعة . ظاهر العتاب خير من مكتوم الحقد . ضربة الناصح خير من تحية الشانيء . التواضع يزيد في الشرف والفخر يؤدي الى الخمول . ينبغي للعاقل ان يداري الزمان مداراة السابح للماء الجاري . المخدوع في جنب الخادع سعيد . لا فقر افقر من الجهل ولا وحشة اوحش من العجب ولا صاحب اكيس من الشوري . لا تقطع كلام من يحدثك فانهُ خارج عن خصال الادب . اي ملك ضيع الصغير من امرهِ لم يسلم من الكبير . ليست الشيمة من اخلاق السراة بذل الوجه للناس هو الموت الاكبر

ومن حكم سقراط قولهُ العدل امان النفس . امتحن المرء بفعلهِ لا بقولهِ . افعل الافعال

الجسيمة ولا تعدّ المعدات الجسيمة . الجاهل من عثر بحجر مرتين . لا تكونن عنايتك بان تكسب شيئاً كعنايتك بحسن استعمال ما تكسبهُ . وقس على ذلك اقوال سائر الفلاسفة . وكثيراً ما قابل بها المؤلف اقوال حكماء العرب في عرض ايرادها اتماماً للفائدة

جذيمة والزباء

اخطّ حضرة الكاتب البليغ محمد افندي حليم (وكيل قلم محاسبة المكاتب في نظارة المعارف العمومية) خطّة جديدة في وضع الروايات التمثيليّة وهو سبكها في قالب العربية الفصحى حتى كأنّ من يسمع سجعها ونظمها يسمع مقامات الحريري او ما هو في طبقتها . فهل يفلح في ذلك او لا يفلح مسألة يكشف عنها الامتحان بعد تمثيل الرواية بضع مرات واقبال الناس عليها او ادبارهم عنها وتبقى الرواية مع ذلك مطلوبة لذاتها كاحد كتب البلاغة مثل مقامات الهمذاني والحريري واليازجي بل يرى فيها المطالع من الفكاهة واستطراد الخبر ما لا يراهُ في تلك المقامات . واذا اقبل الناس عليها وكثر النسج على منوالها كانت من ادعى الامور الى دوران العربية الفصحى على الالسنة

وقد قدّم المؤلف لها مقدمة مسهبة ذكر فيها ما حداهُ الى سبكها في قالب السجع واستطرد الى خطإ المتطفلين على هذه الصناعة والمجيدين فيها ايضاً كابن الاثير صاحب المثل السائر ومن خطّأهم ابن الاثير من كبار الكتّاب ثم الى احتجاب النساء وما فيهِ من مدح وذم وقال في خاتمة ذلك ان الانسان مع المحجبة الجاهلة يعيش اكثر من نصف عمرهِ في نغص العيش ونكدهِ ومع المتكشفة المتعلمة يعيش عمرهُ كلهُ في هناء وسرور وصفاء وحبور

وفي الرواية كثير من النصائح والحكم والامثال والمواعظ كقولهِ عن لسان عمرو بن عبد الجن لعمرو ابن عدي وقد دخل عليهِ فوجدهُ نشوانًا " ما هذه يابنيّ سيرة الصالحين التي عهد اليك جذيمة ان تسير فينا . تصبح وتمسي مقبلاً على قيانك وغلمانك ونحن اخص خواصك تجافينا ونظلّ عاكفاً على شرابك مع وقوف ذوي الحاجات ببابك . لا تنصف المظلوم من ظلامتهِ ولا تأخذ الظلوم بجريرتهِ وجريمتهِ . حتى ركب القوي اكتاف الضعيف واستطال الغوي على الشريف واصبح المستردف مع الرديف . وحتى كثرت الشكوى وعمّت البلوى . فاما اقلعت عن هذه السيرة وتفرّغت للناس في الصغيرة والكبيرة . والاّ فمذ الآن لستُ بصاحبك بل اتركك والقي حبلك على غاربك "

وكقول ام عمرو " السنا وان اعسرنا اعسارًا . حتى اكلنا الخبز قفارا خير من اخذنا الوجي واغذنا الشجي . واكتحالنا السهاد واستطوائنا القتاد . ومالنا لا نقنع بالكفاف والقناعة ام العفاف . وما للنساء وتجشم الاسفار واقتحام الاخطار . وتكبد المصاعب في نيل المآرب ومباراة الرجال في شاق الاعمال .... ولقد حذرتم من الجواد كبوه ومن السيف نبوه فلم لا تحذرون من المرأة صبوه وهي اذا عثرت فعثرتها لا تقال واذا زلت فزلتها لا تغتفر بحال "

والرواية كلها على هذا النسق من السبك والانتظام فتثني على حضرة واضعها ثناءً عطرًا وعسى ان لا يعدى قلمهُ بلغة الحكومة وركاكة كتابها

اللآلىء الذهبية في المسائل الرياضية

وهو يحتوي على ٢٠٠ مسألة حسابية واجوبتها وضعهُ حضرة نصر افندي رزق من متخرجي مدرسة الاقباط الكبرى وهذه المسائل مثل زديف المسائل التي ترى في اكثر كتب الطلاب العربية وغير العربية اكثرها احاجي ينضي التلميذ عقلهُ في ادراك المراد بها حتى يبرع في حلها كلها ثم يسألهُ ابوهُ عن حسبة تتعلق بغلة اطيانهِ او امهُ عن حسبة تتعلق بثمن امتعة ابتاعتها للبيت فلا يستطيع حلها . وعسى ان يقلع مؤلفو كتب الحساب عن الخطة الغريبة التي جروا عليها حتى الآن فيقللوا من المسائل النظرية العويصة ويكثروا من المسائل العملية المشابهة لما يعرض للانسان في معاملاتهِ اليومية

رواية الزواج السري

من تأليف اسكندر دوماس وقد ترجمت الى العربية بقلم حضرة الكاتب المجيد انطون افندي زريق الطرابلسي وهي مثل سائر روايات اسكندر دوماس آية في حسن الاختراع وايراد الغريب منها مورد القريب المألوف . مدارها على ان الغران دوق قسطنطين اخا القيصر نقولا الاول احبَّ فتاة من بنات الفلاحين واقترن بها سرًّا وولد لهُ منها ولد لكن اخاهُ نفاها الى سيبيريا واضطرهُ ان يقترن باخرى فاقترن ونسي امرأتهُ وولدهُ ثم انقذهُ ولدهُ من الموت وعرَّفهُ بنفسهِ وعفا الامبراطور عن امهِ بعد ان بقيت في المنفى سبعة عشر عامًا . والقصة على غاية الرقة والانسجام يستغرب قارئها ما يرى فيها من الاستبداد المنسوب الى قياصرة الروس ويود لو اسهب المؤلف او المترجم في وصف المشاق التي يعانيها المنفيون في سيبيريا . وعربيتها فصيحة قلما تظهر عليها آثار الترجمة وقد طبعت في مطبعة جريدة الايام في نيويورك